الفوضى في حياتنا

المحتويات:

الفوضى مشكلة كبرى

المقدمة

الفوضى حقيقة نلمسها في حياتنا وعلاقاتنا، ونراها في بيئاتنا ومجتمعاتنا؛
وكثير منا يشكو من هذه الفوضى والعشوائية، ونذكر فلاناً بأنه فوضوي أو عشوائي أو إرتجالي، أو نحو ذلك من المعاني، والحقيقة أن تلمُّس بعض جانب الخطأ وبعض المظاهر السلبية أمر مهم، نحتاج إليه دائماً، ونحتاج إلى التذكير والتواصي به باستمرار؛ لأن كثيراً من تلك الأخطاء أو الظواهر تتسلل الى واقعنا، وتكون في بادئ الأمر غريبة أو نادرة شاذة، ثم تنتشر شيئاً فشيئاً، حتى تغدو مألوفة معروفة غير منكرة ولا مستهجنة، ثم بعد ذلك تصبح متأصلة متجذرة مستعصية على التغيير؛ حتى يستسلم الناس لها، وتغدو بعد ذلك أصلاً، يكون خلافه هو الشذوذ، وأمراً مقرراً معتبراً ما يعارضه هو الذي يلقى العناء والمشكلات.

= معنى الفوضى:

"فَوَضَ" أصل ثلاثي صحيح، يدل على اتكال في الأمر على الآخر ورده إليه،
ومنه قوله تعالى: "وأفوّض أمري الى "، أي أتكل على الله وأتوكل عليه، وأعتمد عليه.
ومنه قولهم: "باتوا فوضى" أي مختلطين، والفوضى تعني الإختلاط، بحيث أن كل واحد قد اتكل على غيره فاختلط الأمر بحيث لم يعد مستباناً.
والقوم الفوضى: هم الذين لا أمير لهم، ولا من يجمعهم، قال الأفوه الأودي:

لا يصلح القوم فوضى لا سراة لهم ولاسراة إذا جهالهم سادوا

وإذا وقفنا على هذه المعاني نستطيع أن نلمح أن المحور التي تدور عليها أو يدور عليها معنى الفوضى:

أولا: الإتكال على الغير لا الإعتماد على النفس:
فالفوضى تعني الإتكاليه غير الإيجابية، فتجد الفوضوي لا يعتمد على نفسه، بل غالباً ما يتكّل أو يعتمد أو يفوّض أو يرمي بالأمور والمهمات على غيره.

ثانياً: الإختلاط لا الوضوح
فتجد أمر الفوضوي مختلطاً لا يعرف له إلى سبيل الوضوح هدفاً أو غاية, ولا يعرف طبيعة المهمة المناطه به أو الواجب الملقى على عاتقه, أو المرتبط بعنقه بل عنده غبش في الرؤيا واختلاط فيها.

ثالثاً: الإستواء لا التفاضل
فعنده أن الأمور مع إختلاطها فيها تساوي - كما قلنا - فوضى أي متساوون لا رئيس لهم, فعنده تستوي الأمور, ليس عنده مهم وأهم, ولا جد ولا هزل, فالفوضوي غالباً ما تجد الأمر المهم عنده تافه, وأيضا قد يجعل التافه مهمّاً, ولا يكون عنده ذلك التفريق, بل كثير من الأمور المختلفة يجعلها عنده متساوية, فليس عنده بالتالي ترتيب الأولويات.

رابعاً: التفرق والتردد
فأمور الفوضوية غالباً مبعثرة مختلطة غير منتظمة ولا مرتبة, ومن ثم يكون حاله وشأنه التردد والحيرة، فمرة هنا ومرة هناك, ومرة يبحث عن أمر عنده أو عن شيء قد امتلكه واقتناه، ولكنه لم يضعه في موضعه الصحيح.

وهكذا تجد أن هذه المعاني من إتكالية وغبش, أو عدم وضوح الرؤية, وعدم تحديد الأولويات, وعدم وضوح الغايات, وغير ذلك كله سمة من سمات هذه الفوضوية.

= **مرادفات الفوضى**:

أولاً: العشوائية
لأن بعض الناس يقول فلان عشوائي - أي فوضوي –
والعشا أصله في اللغة يدل على ظُلمة وقلة وضوح للشيء، ومن هنا يسمى العشاء عِشاءً، لماذا ؟ لأنه أول ظلمة الليل الذي تبدأ الرؤيا فيه تضعف, ويبدأ الظلام يغطي على الأشياء.
والعشواء من النوق, أو من الجمال هي الضعيفة البصر، التي كأنها لا تبصر ما أمامها، فتتخبط في مشيتها، فضربوا بها المثل "خبط عشواء".

وشاهد هذا قول زهير المشهور:
رأيت المنايا خبط عشواء، من تصب تمته, ومن تخطئ يعمَّر فيهرم

وخبط عشواء يعني لا يحسن الأمر، ويضرب مثلاً للسائر الذي يركب رأسه ولا يهتم لعاقبته

ومن ذلك أيضاً في لغه العرب وصفهم الشخص الضعيف البصر بـ الأعشى، وعشى يعشو إذا ضعف بصره. وتعاشى الرجل في أمره إذا تجاهل.

وإذا أردنا أن نستخلص نجد أن جزء من هذه المعاني يرتبط بما سبق, فالفوضوي فيه ضعف في البصيرة، وعدم وضوح في الأهداف، وعدم تدبر للعواقب، يتخبط في الدنيا خبط عشواء.

ثانياً: الإرتجالية
إرتجل الرجل الخطبة والشعر هو إبتداؤهما من غير تهيئه قبل ذلك.

والإرتجالي هو الذي يدع الأمر دون أن يستعد له، أو يفكر فيه، أو يخطط له،
وارتجل الفرس إرتجالاً إذا أسرع به دون أن يستمسك بعنقه جيداً، فيوشك أن يقع من عليه.
إرتجل الرجل إرتجالاً إذا ركب رجليه في حاجته ومضى في الصحراء دون زاد أو دليل، يعني الذي يمشي هكذا سريعاً مندفعاً دون الحاجة الى معرفة المسار وما يحتاج إليه.

= **<u>الفوضى صور ونماذج</u>**:

أولاً: فوضى الشباب والطلاب:

١- فوضى المتعلقات الشخصية كـ الكتب المبعثرة والغرفة غير المنظمة والأدوات الناقصة.
٢- فوضى التأجيل والتسويف، كتأجيل عمل الواجب ومذاكرة الدرس اليومي.
٣- فوضى عدم الإستمرارية:
   a. كالمذاكرة المتقطعة.
   b. أو للشروع في حفظ القرآن لكن بعد فترة ينقطع ويتركه، أو يغير نسق حفظه له.
   c. أو الهمة في طلب العلم الشرعي ثم تركه.
   d. أو الحماسة في قراءة الكتب النافعة الكبيرة ثم الصغيرة ثم تركها.
   e. أو الاهتمام بالهوايات المفيدة ثم تركها.
٤- فوضى الرؤية والأهداف، كالتنقل بين التخصصات الجامعية.
٥- فوضى الفراغ.
٦- فوضى المواعيد: الإضطراب في المواعيد المضيعة، يعطي الموعد ثم لا يكون موجوداً.

ثانياً: فوضى الموظفين:

١- فوضى المتعلقات الوظيفية كـ الملفات المبعثرة والغرفة غير المنظمة وأدوات العمل الناقصة حين يذهب الى العمل كالقلم.
٢- فوضى التأجيل والتسويف، مثلاً يؤجل خدمة المواطنين، و(فووت علينا بكرة يا سيد).
٣- فوضى عدم الإستمرارية:
   a. كالتقارير غير المنتظمة التي يرفعها لرؤسائه.
   b. أو تكون عنده الحماسة في تطوير إنتاجية موظفي القسم ثم يهبط.
٤- فوضى الرؤية والأهداف، كالتنقل بين التخصصات الوظيفية بلا سبب إلا الرتابة والملل.
٥- فوضى الفراغ، ويريد الموظف قتل الفراغ فلا يفيد مكان العمل بفائدة.
٦- فوضى المواعيد: الإضطراب في المواعيد المضيعة، يعطي الموعد ثم لا يكون موجوداً.

ثالثاً: فوضى الأسرة:
١- فوضى الإنفاق: مرة إسراف وتبذير، ومرة إقتار وسوء تقدير.
٢- فوضى متابعة الأولاد: مرة متابعة لصيقة ومرة حريةً موهومةً.
٣- فوضى الوقت بسهر الليل ونوم النهار
٤- فوضى سوء التنظيم وانعدام الترتيب في البيت
٥- فوضى الزيارات الفارغة والمهمات التافهة
٦- فوضى العقاب للأولاد أو الصراخ الدائم

رابعاً: فوضى التقيد بالأنظمة:

١- فوضى ركن السيارات، كل سائق سيارة يقف كما يشاء

٢- فوضى النظرات الفكرية, مرة القومية العربية, ومرة الإشتراكية, ومرة الرأسمالية، ويا ترى ما هي المرة القادمة؟

= **أخطار وأضرار الفوضى**:

الضرر الأول: إضاعة الوقت

في المستدرك على الصحيحين ج ٤ ص ٣٤١، عن بن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

[اغتنم خمسا قبل خمس:

١- شبابك قبل هرمك

٢- وصحتك قبل سقمك

٣- وغناءك قبل فقرك

٤- وفراغك قبل شغلك

٥- وحياتك قبل موتك].

وفي سنن الترمذي أَبِي بَرْزَةَ نَضْلَةَ بْنِ عُبَيْدٍ الأَسْلَمِيِّ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

[لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ:

١- عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ

٢- وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ

٣- وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ

٤- وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ].

وفوضى الوقت يسأل عنها الإنسان.

الضرر الثاني: قلة الإنجازات

الفوضوي قلما ينجز.. يقرأ كتاباً ويقف يحضِّر درساً وينقطع. أو يشرع في الحفظ ويتوقف.

ماذا أنجزت في حياتك؟

الضرر الثالث: الإحباط والفشل

عندما يريد أن يحفظ فلا يحفظ وعندما يريد أن ينجح فلا ينجح وعندما يريد أن يتقدم فلا يحصل له خاصة بعد فترة من الزمن، أحياناً في وقت الفوضوي لا يشعر بمرور الزمن, لكن هذا الطالب الذي يأتي وقد بلغ العشرين, وهذا ما يزال في الثانوية أو المتوسطة ينظر الى سنوات عمره والفوضى والإضطراب الذي كان فيها, فيشعر أن العمر قد ضاع، والمستقبل - كما يقولون - أصبح في خبر كان.. هذا يجعله يصاب بالخوف والإحباط، والشعور بالفشل، والإتهام للنفس, والنقد الشديد لذاته, ويصبح - كما يقولون - بعد ذلك كالإنسان الذي جاءه من يضربه حتى أنهك قواه, فهو يعني محبط ومزعزع الثقة

في نفسه، وقد سُدت في وجهه - على تقلب من ناحية نفسية - أبواب الأمل، وانقطع عنده النظر أو الطموح إلى المستقبل، وكل ذلك له أثر من هذه الفوضى.

الضرر الرابع: العجز والكسل

نتيجة لهذا الإحباط يشعر أنه عاجز مع أن عنده طاقة وعنده إمكانية ويميل الى الكسل ما دام قد مرت هذه السنوات ولم ينجز في دراستة لم ينجز في عمله، لم ينجز في تربية أبناءه، لم ينجز في تحقيق آماله، لم ينجز في سياسته الإقتصادية فيكسل ويقول: ما مضى في الوقت الذي سلف لم أحقق هذا فكيف سأحقق الآن ؟ إذاً لا داعي، والراحة أفضل، ومالذي سيصنعه الإنسان ونحو ذلك أيضاً، هو من أثر الإحباط يشعر بأنه عاجز، وإن كان في الحقيقة قادر ولكن عجزه ناشئ من هذا الإحباط وذلك الفشل.

الضرر الخامس: فقدان المواهب والملكات

الذي يبدأ في شيء مما يكون يحسنه ثم يتركه الى غيره ويختلط عليه الأمر شيئاً فشيئاً، فتضمر تلك المواهب، ونحن نعرف أن الموهبة تتطور وتنمو بالممارسة وبالتغذية لها من الناحية العلمية والناحية العملية، فلو كان إنسان عنده مهارة في الكتابة - مثلاً - فكُلما كتب ومارس كلما ارتفع مستواه أما أن يكتب مرة ومرة لا يفعل أو يضطرب -كما قلنا - فإنه شيئاً فشيئاً سيجد أنه يفقد هذه الموهبة، وتضيع منه تلك الملكَة ويخسر هذه الأمور التي ربما كانت فيه أمراً فطرياً وجبلياً، و كم نرى من كان يتقن أموره ويحسنها، ثم لم يستثمر هذا المجال ويحدد مساره فيه، ويختلط عليه الأمر، وبعد ذلك لا يجد هذا ولا ذاك.

الضرر السادس: ضياع الأهداف والغايات

كثيراً ما يكون الفوضوي ليس عنده هدف ولا غاية؛ لأنه متردد متحير متغير متنقل، وبالتالي لا يكون عنده هذا الوضوح في الأهداف والغايات.

الضرر السابع: ضعف الثقة وسوء السمعة

كما قلنا يكون ضعيف الثقة بنفسه، وينال سمعة سيئة بين الناس، فإذا جاء أحد ليتعاون معه قلنا له: لا تتعاون معه؛ فإنه فوضوي.. لا تعتمد عليه؛ فإنه اتكالي.. لا تعوّل عليه؛ فإنه إرتجالي.. إلى آخر الأمور تجد هذا الأمر واضح وبيّن فيما يتعلق به.

الأخطار والأضرار المتعدية للغير

بالنسبة للآخرين لأن الفوضوي هذا ينشر بعض الأضرار ويبعثرها على الآخرين من الأضرار التي تمس الآخرين من حوله والمجتمع من حوله أمور منها:

أولاً: القلق والإنزعاج

تجد الذين يتعاملون معه من حوله دائماً في قلق لا يتوقعون ماذ سيصدر منه، فيفعل الأمور فكما يخطر في باله يأتي ليزورك في وقت مزعج وفي وقت تحتاج إليه، أو قد يكون يأتيك بعد كل فترة بفكرة أو بخاطرة أو يريدك أن تأتي معه دائماً لا تستطيع إذا كانت متعاملاً معه إلا أن تشعر بالقلق والإنزعاج الذي يحصل من معاملته لك.

ثانياً: الإرباك والإضطراب

قد تكون لك معه حاجة أو طبيعة عمل تقتضي التعاون معه، فيسبب لك إرباكاً واضطراباً، ويعطيك الموعد ولا يلتزمه، ويعدك بالإنجاز ولا يحققه، فتبقى تبني على وعد، فأنت قد اعتمدت أنك تأتي للموظف، وتاخذ المعاملة وتسافر بعد ذلك مثلاً فيأتيك الموظف ويقول لك من فوضويته.. عندي معاملة

أو لم أجدها أو نسيتها بالامس أو نحو ذلك، فيربك عمل سفرك فتشعر بالإضطراب، يجعل الأمور من حولك غير مستقره أيضاً.

ثالثاً: تهديد حياة الآخرين.
إن حياة المسلم كلها تسير وفق ضبط ودقة ، ومثال على الضبط والنظام في حياة المسلم تقيدُه بالإشارات الضوئية المرورية في الطرقات ، وهو مأخوذ من قول الفقهاء) مَن مشى في طريق وهو يعلم أن غيرَه أحقُّ به فأصاب فيه رجلاً فقتله فهو قاتلٌ شبهُ عمد (فيترتب عليه الجزاء والعقوبة .

رابعاً: الاستيلاء على حق الغير:
كمثل على ذلك الاصطفافُ بالدور على المحلات المزدحمة ، فغير جائز أن يعتدي المسلم على دور غيره أو أن يسلبه حقاً قد سبق إليه ، فقد قال رسولنا المصطفى صلى الله عليه وسلم) : مَن سبق إلى شيء فهو له يومه حتى يدعه (كنز العمال ، أي هو أحق به ، ومن هنا استنبط الفقهاء القاعدة) مَن سبق إلى مباح فهو أولى به (،

خامساً: المعارضة والمعاتبة
مما يسبب ذلك أن الإحتجاج والإعتراض نتيجة الخلل، فيحصل نوع من الإختلاف، وربما يحصل ملاحاته بالكلام، وما يحصل من تلاحم بالأيدي؛ لأن هذا الفوضوي يزعج الناس، وبالتالي أحياناً يخرجون عن طورهم في معارضتهم أو معاتبتهم، ويحصل بذلك نوع من تفرّق في الصفوف، واختلاف في القلوب، وشحناء في النفوس، ونحو ذلك من الأمور التي تضطرب بها أحوال المجتمعات رغم التأخر والتخلف.
أمتنا الإسلامية اليوم نعلم يقيناً أنها من الناحية الحياتية ـ كما يقولون - متأخرة عن الأمم المتقدمة فتحتاج إلى جدّ وعزم، وإلى إنجاز وإلى مضاعفة في الجهود، فكيف إذا كان هناك فوضى سينعكس على أن المجتمع كله فوضوي ؟ وبالتالي الأمة تتأخر ولا تتقدم، وتتخلف ولا تتسابق، الذي يرى ويبصر يجد أننا نحن نشيع هذه الحالة ونشكو منها، تجد على سبيل المثال من الفوضى عدم إلتزام النظام، الناس يقفون خلف بعضهم ليحصلوا على حاجاتهم وتجدهم إذا كانوا كما أشرنا مرة في السلوك الحضاري إذا كان في بلد أجنبي يلتزم نظام ويقف في المسار الصحيح، أما كما يريد وكما يفعل في بلده بأن يتسلل أو أن يراوغ، وبالتالي ما الذي يحصل؟ يحصل أن الأمور عندنا لا تستطيع أن تعتمد فيها على النظام، ولا تستطيع أن تؤدي المنجزات، تختل بسبب الفوضى طبيعة عملية العمل والإنجاز في المجتمع كله في دراسات علمية فرقوا بين الإنجاز والعمل والجدية.

في بعض المجتمعات أذكر بعض الأمثلة، لذلك ذكرت بعض الإحصائيات أن العامل الياباني يعطي إنجازاً وكفاءة تعادل ثلاثة من الأمريكيين،طبعاً إذا وصلنا أيضاً بالمقارنات الى أوضاعنا نجد أن الأرقام تتضاعف، لكن في دراسة أخرى نظام العامل ثماني ساعات، ثم قالوا الموظف يأتي متأخر بوقت قليل، وقد ينصرف قبل ذلك، ويقضي بعض الوقت في شرب الشاي، وبعض الوقت في قراءة الجرائد، وبعض الوقت في دورة المياه، وبعض الوقت في كذا.. في دراسة معينة طبعاً قد يكون فيها مبالغة وإن كانت معروضة على كبير ! لفت النظر الى الظاهر تؤدي الدراسة الى أن الوقت الحقيقي الذي ينجز فيه العمل من الساعات الثماني هو ساعة واحدة من ثمان ساعات ! والحقيقة ليس هذا مبالغة في كثير من الأحوال تجد بالفعل إن العمل ساعة واحدة. ذهبت مرة من المرات الى بعض البلاد للبحث عن بعض الكتب أو المخطوطات، فذهب الى إحدى الجهات العلمية المختصة بالمخطوطات، وذهبت وقد انقضى النهار، دخلت الى المقر أو المعهد أو المبنى لم أجد فيه صوتاً ولاحركة، فدخلت الحجرة

والحجرة ومكان الأجهزة لم أجد أحداً فتعجبت ! في أثناء البحث وجدت غرفة ففتحتها، فإذا فيها الموظفون والموظفات مجتمعون على طعام الإفطار.. طبعاً تركوا الأعمال والمهمات.. هذا جزء من الفوضى وجزء من الإتكالية، وجزء من غياب المسؤلية، وتجد مثل هذا كأنه أصبح -كما قلت - في البداية مقرر تأتي الى الموظف، يقول لك: لو سمحت بعد نصف ساعة؛ لأن الآن وقت إفطار ! هل وقت الأفطار جاء في وقت الدوام ؟ أصبحت هذه الأمور فتجد التخلف والتأخر وعدم الإنجاز ناشئ عن وجود الفوضى والإقرار بها، وتطبيعها، وتطبيع العلاقة معها، إذا كان الموظف يقرأ في الجريدة فمن الذوق أن تنتظره حتى يتم قراءتها، من سوء الأدب أن تقول له: لو سمحت نحّي الجريدة واقضي معاملتي أو أنجز عملي. وهكذا تجد أن هذه الأمور ليست هي متعلقة بالشخص الواحد وإنما تمس المجتمع بشكل أوسع.

العلل والأسباب

العلة الأولى: ضعف التربية

وينشأ ناشئ الفتيان فينا **** على ما كان عوده أبوه

فالذي يرى والده ووالدته ينامان النهار كله، ويستيقظان بعد وقت طويل، وما يزال الكسل يدبّ فيهما، ويرى الفوضى ضاربة أطنابها في البيت، والأمور مبعثرة، وإذا أرد أن يحافظ على أشياءه المبعثرة، أو إذا اشتكى كان هو الملوم معه والمعاتب، وإذا أحسن وأتقن لم يجد من يشجعه بل يتهم بالأنانية ونحو ذلك.

ظواهر ضعف التربية

أ- عدم الحزم والجدية

في أسلوب التربية من الآباء والأمهات -كما يقولون - ينشئ الفتى على هواه، على مزاجه هذا يعوِّده على أخذ الأمور بنوع من اللامبالاة عدم إدراك المسؤلية وعدم تدريبه على تحمل المسؤلية هو مهمته ماذا ؟ أن ياكل وأن يشرب، ثيابه إذا اتسخت عليه أن يلقيها، فراشه إذا استيقظ هناك من يرتبه وليست مسؤليته، ولا يكون هذا في شؤنه الخاصة، بل حتى عندما يكبر لا يحمل مسؤلية ولا يُعتمد عليه دائماً، يقال إنه صغير دائماً يقال إنه كذا فينشأ أيضاً وليست عنده مسؤلية.

ب - وضوح الأهداف والغايات

بالنظر العليا والقدوات الصحيحة، عندما يكون المثل أو القدوة مختلاً وينشأ المقتدي أيضاً مختلاً، لو جعلنا قدواتنا من العلماء وطلبة العلم وجددنا المسار يمكن أن تتوجه الطاقات عند الفتى أو الفتاة أو عند الناشئ الى ذلك، فيبدأ يبرمج أوقاته ليحقق هذه الغاية عندما نجعل الغاية أو المثل، ونوضح له القدوة في القوة والعزم والإنتاج والعمل والكدح في هذه الحياة الدنيا، وكيف كان من قبله ونحو ذلك، نجد أن هذا يمكن أن يجعله يستنفر طاقته في هذا المجال.

عندما تكون الأمور ليس فيها مثل هذا يحصل مثل هذا الإضطراب، يحتاج الى أن يكون هنا كنوع من التعليم مع التربية، التعليم يحتاج الى تلقين المفاهيم في الصغر، والتعويد على الأعمال وتنمية القدرة على التمييز بين الخير والشر والحسن والقبيح، والأفضل والجيّد والردئ؛ حتى يستطيع أن يكون من خلال هذا التمييز لا يحب لنفسه الدون، ولا يحب أن يكون هازلاً، ولا يحب أن يكون تافهاً، لكن عندما التربية لا تعطيها انطباعاً بأن التفاهة وأن الهزل وأن ضياع الأوقات شيئ غير محبوب؛ فإنه لا يرى في هذا غضاضة، وبالتالي التربية والمحضن الأول مهم جداً في مثل هذا الأمر الذي تضييعه وضعفه يؤثر هذا التاثير الكبير.

العلة الثانية: البيئة الفوضوية

أشرت هناك الأسرة، وأيضاً هنك الأصدقاء، هناك المجتمع، الأسرة- كما قلنا ولشرنا - وهي جزء من التربية، وإن كان أنه ربما يكبر ويستفيد ويتعلم من الآخرين، ويريد أن يكون جاداً منظماً غير

فوضوي، لكن تجد أن الأسرة لا تساعده على ذلك تضاده فيه أو تربكه في ذلك، الأصدقاء أيضاً نجد أن مخالفة الأصدقاء أحياناً تبدأ بالموافقة لهم كنوع من عدم الصد أو الإحراج، فيوافقه أصحابه في أن يذهب معهم في نزهة، أو في عمل يعني ليس له فائدة أو كذلك أو شيء من ذلك، أحياناً يتدرج به الأمر الى أن يرى بعض الممارسات الخاطئة أو تضييع الأوقات أو الإضطراب وكذا، ويدخل فيها، ويخرج فيها ولا يعاتِب، وبعد ترك المعاتبة - أيضاً - يترك عدم المفاصلة، فيبقى حينئذ مضطرباً، والصديق له تأثير كبير، والصاحب ساحب - كما يقولون - وقد جاءت النصيحه شعرًا بهذا.

لا تصحب الكسلان في حالاتـه **** كم صالح بفساد آخر يفسد

عدوى البليد الى الجريء سريعة **** كالجمر يوضع في الرماد فيخمـد

وهذا لاشك أن له تاثيرٌ واضحٌ.

المجتمع أيضاً الذي يريد أن يكون نظاميا أحياناً، يكون المجتمع هو الذي يحوله الى فوضوي، فإذا التزم النظام كان أحياناً موضع الإستهزاء، يقولون: انظر ماشاء تبارك محافظ على النظام.. ماشاء تبارك الله كأنه مثلاً كذا، أو إذا أراد أن يترك الأمور الملتوية أو فيها نوع من الخلط والإرباك فتجد أنه يعاني إذا التزم النظام بنفسه، غيره لا يلتزم فيجد نفسه يقول لك: ولماذا ألتزم بالنظام ؟ أو إذا التزمت كنت غير متميزاً ! وإذا خالف غيري لم يعاقب ! وهكذا، يبدأ أحياناً يجد أن المجتمع مساره، مثلاً يريد أن يستيقظ في أول نهاره ويجدّ، ويعمل ويقضي حاجاته حتى يجعل الليل للراحة والعبادة ـ كما هو الحال والشأن - يستيقظ في صباحه فيخرج يقضي حاجته في السوق، يجد السوق مغلق يذهب الى الدائرة، يجد الموظف لم يأتي بعد، ماذا يصنع ؟ يقول: لابد أن لا أخرج الى هذه الحاجات إلا متأخراً، فالطبيعة الإجتماعية أحيانا تعرقل الجد والحزم والعمل والإنجاز.

العلة الثالثة: المشكلات والهموم

الهموم الدنيوية

وهذه من أعظم الأسباب التي تؤدي الى الفوضى والإضطراب والحيرة، وبعض الناس همومه دنيوية ودائماً ـ كما يقولون ـ يعني رقبته الى الأعلى، ويطمح طموحات خيالية، ويريد أن ينال من الدنيا كذا وكذا، وينسى حديث النبي - عليه الصلاة والسلام - الذي رواه الترمذي في سننه، قال عليه الصلاة والسلام: (من كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأتيه من الدنيا الا ما قدر له(.

يلهف هنا وهناك، ويجهد فكره، ويضيّع وقته، دون أن يكون رتب الحاجات على حسب مقتضاها؛ فإن لنفسك عليك حقاً، وإن لبدنك عليك حقاً، وإن لأهلك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً، ولله ـ عز وجل ـ حق، وللإسلام عليك حق، فما بالك ننطلق في جانب واحد وهذا الجانب هو من النوع الذي لاينتهي أمره. كما قال عليه الصلاة والسلام: (منهومان لايشبعان أبداً طالب دنيا وطالب علم).. (ولو كان لابن آدم وادٍ من ذهب لتمنى أن يكون له ثانياً ولو كان له اثنان لتمنى أن يكون له ثالثاً ولا يملأ فم ابن آدم الا التراب(.

فهذه الهموم التي يفكر فيها من هذا النوع وهي من الناحية الإسلامية، ينبغي أن لا تكون على هذه الصفة تجعله دائماً في همّ وفي حيرة، وتجعل أسلوبه في الحياة أيضاً مضطرباً، كيف يريد مثلاً ـ كما قلنا ـ أن يصل الى مبلغ معينٍ ؟ فدائماً تجده مشتت الفكر والذهن يخل بواجبات أبناءه.. يقصر في حقوق أسرته لماذا ؟ لأنه يفكر في هذا، ثم يسلك طريق العمل والجد لا يجد أنه يرمق فيه، يحاول أن يأخذ طريقاً آخر.. يقترض حتى يصل أحياناً، وكلها أوهام وخيالات يقول لك: أشارك في مسابقات ! آخذ بطاقات ! ويدخل في شركات، ويدخل في جميعات، وتجد عنده إضطراب طول الفترة التي كلما كان منشغلاً بهذه الأمور دائماً يكثر التنقل، كم نرى بعض الناس مرة يفتح بقالة وبعد ذلك يأخذ سيارة، وبعد ذلك يلغى هذا وهذا، ويدخل في وظيفة، وبعد ذلك يترك الوظيفة، في كل يوم له شأن وحال، وفي كثير من الأحوال يخفق ولا يصل الى حد وغاية.

طبعاً لا شك أن هذه أمور دنيوية بعضها لو جد فيه وأحسن وكان يعرف الصور ؟ والقدر الحقيقي لهذا فلا بأس، لكن ينبغي أن يدرك الحقائق على ضوء الإسلام:

"وابتغ في ما آتاك الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا".. "ما أنا في الدنيا الا كراكب استظل تحت ظل شجره ثم قام وتركها"

ينبغي أن يفهم هذا حتى لا يكون هكذا.

المشكلات الأسرية

الشاب الذي عنده مشكلة أسرية تجده دائماً مشتت الذهن، قلقاً ومضطرباً، وبالتالي يحصل عنده فوضى واضطراب.. الزوج مع زوجته مع المناكفات والمشاكسات دائماً.. ما تستحيل الحياة الى نوع من الخلط والإرباك، أيضاً لو كانت عنده مشكلات مالية وأزمات مالية تجد أنه يجلس مع الناس وعقله يهيم في الأودية، ويفكر في المشكلات، وبالتالي دائماً هذا القلق يسبب تشتت ذهني، وعدم تحديد المسار، وكثرة التردد والضعف الذي يجعل هناك قدراً كبيراً من الفوضى، وكما قال القائل:

والهم يخترم الجسيم نـحـافة **** ويشيـب ناصية الصبي ويهرم

يعني الهم يشتت الذهن ويضعف القدرة على التركيز.

العلة الرابعة: قلة الصبر وقِصر النفس

بعض الناس يريد أن يصل.. يريد أن يصبح عالماً.. يريد أن يحفظ كتاب الله - عز وجل - ويريد ذلك وهو لا يحتمل طول الوقت، ولا يصبر على مستلزمات ومتطلبات العمل والإنجاز..

لا تـحسب المجد تمرا أنت آكله **** لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبر

المسألة ليست هينة، ودرّب نفسك على أن تحتمل، وأن تكون طويل النفس، وعندك نظرة في المستقبل، وعندك معرفة بالوقت عامل مهم في الوصول الى الغايات وتحقيق الأهداف، وليست المسألة يعني أمراً عارضاً، وسرعةً خاطفةً، ولذلك الذين يريدون أن يصلوا بسرعة وليس عندهم صبر، غالباً ما يعيرون، كثيراً ما يبدأ ويرى المسألة صعبة ويقول لك: لا داعي للدراسة والتخرج وللشهادة ماذا ستنصنع بالشهادة ؟ ومسألة دراسة واختبارات صعبة لا ندخل في هذا المجال، ثم يستصعبه ويدخل في مجال آخر، وبالتالي يقع أيضاً مرة أخرى في الفوضى.

العلة الخامسة: ضعف الإرادة وحب الراحة

نتيجة عدم الصبر في الغالب يكون عنده ضعف إرادة إذا رأى الشيء صعباً يقول بلاشيء تأخذ طريقاً آخراً، ولماذا يرهق الإنسان نفسه؟ بعض الطلاب الآن لماذا أدرس إثنا عشر عاماً ؟ مشكلة!

ويعتبر في ذلك ضعيف الإرادة كما ذكر الغزالي في جدد حياتك يقول:

"إن الرجل الضعيف قد يفزعه المصاب، ويشتت أفكاره، وبدلاً من أن يختصر متاعبه بمجابهة الواقع والإستعداد لقبوله يسترسل مع الأحزان التي تضاعف كآبته ولا تغير شيئاً، ومن ظواهر قوة الإرادة الجد في الأمور والأخذ فيها بالحزم والنظام في الأعمال والبعد عن الفوضى، أما ضعيف الإرادة؛ فإنه يتخاذل أمام ميل نفسه الى الكسل، ولا يمكن الذي يحب الراحة صاحب مهمة وصاحب إنجاز "

"يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله إثاقلتم الى الأرض"

الجهاد البذل التضحية تحتاج الى قوة عزيمة وإلى قوة إيمان، أما الذي يجب أن يبقى عند زوجته، وعند أبنائه، وفي بيته في الظلال الوارفة، والأهواء المكيفة، فهذا لا يمكن أن يحقق مثل هذه المهمات الكبرى، ونعرف بعض ما رُويَ في قصة المخلفين الثلاثة، وبعض ما روي في عموم أحداث غزوة تبوك وماحصل من الثلاثة من تأخر أو إبطاء، وهذا أمر - كما قلنا - مهم وبيّن في الوقت نفسه،

وضعيف العزم دائماً يأخذ الأقل، يقول: لماذا صفحة في اليوم يكفي آية وإن شاء الله قليلٌ دائم خير من كثير منقطع، يسوِّق لنفسه نتيجة ضعفه وكما قال القائل:

ويقطع خيط قطن بعد شد **** إذا ما الخيط كان على الحلال

هذا من قوته أن يقطع خيط القطن بعد أن يكون مشدوداً, وهو على الحلال يعني ليست فيه أي مظهر من مظاهر القوة.

العلة السادسة: التسويف والتساهل

التسويف يسوِّف ويؤمل على المستقبل وغداً وبعد غد، وإذا جاءت الإجازة وبعد الإجازة يقول: إذا تخرجت من الثانوية.. وإذا تخرّج من الثانوية يقول: بعد الإنتهاء من الدراسة الجامعية.. وبعد الدراسة الجامعية يقول: بعد الوظيفة.. وما يزال يسوِّف ولا ينجز والأمر في هذا واضح، التساهل فيه بعض الملامح أنه ليس عنده متابعة ولا محاسبة لا من نفسه ولا من غيره، الذي ليس عنده متابعة من يتابعه ويحاسبه يكون عنده نوع من التساهل ونوع من اللامبالاة، أيضاً عند الترتيب والتخطيط هو نوع من التسويف ونوع من التساهل، التسويف الذي ليس عنده تخطيط يقع عند التسويف، أما الذي عنده تخطيط يقول: عندي مهمة لا بد إنجازها خلال نهاية الشهر، فلن يؤجل بعد ذلك، أما الذي يسوِّف ويتساهل يؤجل الأعمال، فتتزاحم الأعمال في الأوقات القصيرة، فلا تؤدى على الصورة المطلوبة.

هي النفس إن أنـت سـامحتـها **** رمت بك أقصى مهاوي

وان شئت فوزا فناقض هواهــا **** وإن واصـلتك أجزهــا

ولا تعــــبئن بميعادها **** فميعادها كسراب بقيعة

والنفس تميل إلى مثل هذا، وهو أمر ينبغي للإنسان أن يبتعد عنه، ولا يخوض فيه، والتسويف ينبغي أن لا يكون من الإنسان المسلم الجاد؛ لأن الأعمار بيد الله عز وجل، والإنسان لا يدري ما يكون في غدٍ، والنبي - صلى عليه وسلم - قال: (بادروا بالأعمال سبعاً هل تنظرون الا غناً مطغياً أو فقراً منسياً أو هرماً مفنداً(

إلى آخر ما قال - عليه الصلاة والسلام - في الحديث، حتى قال: (أو الدجال فشر غائبٍ ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر) وما بين غمضة عين وانتباهتها يبدل الله من حالٍ إلى حال، فقد تكون قوياً وتضعف، وقد تكون صحيحاً وتسقم وتمرض، وقد تكون غنياً فتفتقر، فإذا كنت قد عجزت أو سوَّفت في إنجازه في حال القدرة فأنت في حال عدم القدرة أعجز منك في حال القدرة، ولذلك ينبغي للإنسان أن لا يسوّف؛ لأن التسويف بضاعة النوكى والحمقى دائماً، يقول:سأفعل كذا، وغداً سيكون كذا ويحلم ولا يؤدي شيئاً مما يقوله في غالب الأحوال. .

حكم المنية في البـريـة جاري **** ما هذه الدنيـا بـدار قـرار

بينا يـرى الإنسان فـيها مخبراً **** حتى يرى خبراً من الأخبـار

ومكلف الأيام ضد طباعهــا **** متطلب في الماء جذوة نــار

لا بد أن يكون الإنسان المسلم واقعياً ومنجزاً ليس مسوّفاً، وكما يقولون في بعض الأمثال أو الكلام الذي يتداوله الناس والعامة، بعض الكلمات التسويفية يذكرونها على سبيل بيان عدم إنتاجيتها وفائدتها، فيقال: " لو زرعت لو في وادي عسى تثمر يا ليت"

يعني كله هواء في هواء لا تحصل على نتيجة.

العلة السابعة: الإستقلالية وترك المشورة

فالذي يريد أن يطلب العلم فليستشير أهل العلم؛ حتى يشيروا عليه بالكتب التي يقرأها بدلاً من أن يتخبط ويخلط ويضطرب ويحتار، الذي يريد أن يأخذ مساراً في العمل فيلستشير وليأخذ خبرة ممن قد سبقه الى التجربة، فترك الإستشارة وترك الإستفادة من تجارب الآخرين يجعل الإنسان يخطئ، وإذا أخطأ قد يغيّر ويغيّر مرة ثانيه وثالثة، وربما حتى عندما يُخطئ يغيِّر، وهو لا يدرك لمَ غيَّره، ولم يعرف بالضبط السبب الذي لأجله وقع هذا الخطأ حتى يتلافاه، فبعض الناس يحب أن يركب هواه، ويحب ان يعتز بنفسه، ويرى أنه يفهم كل الأمور ويحسن كل الأعمال ويجيد كل المهمات، وإذا جاءه ناصح أو أبدى له مخلص خبير عارف بالأمور إرشاداً أو توجيهاً استكبر عن قبوله، فبالتالي يظل في الغالب في مثل هذا الإختلال.

العلة الثامنة: المعاصي والآثام

هي أيضاً من سبب الفوضى؛ لأن الإنسان يحرم التوفيق، ويمنع من التسديد، ولا يهدى إلى الصواب، وبالتالي يضطرب في كثير من أموره، إضافة إلى الآثار النفسية والقلبية للمعاصي والذنوب، حيث يسود القلب، وتنعدم البصيرة، ويقلّ التوفيق، ويضيق الصدر، ويحصل نوع من الحرج والضيق الذي لا يكون معه الإنسان مؤهلاً لأداء الأعمال الجادة والصالحة بالصورة المطلوبة، وقد قال ابن القيم: " العبد إذا أعرض عن ، واشتغل بالمعاصي، ضاعت عليه أيام حياته الحقيقية، التي يجد غبن إضاعتها يوم يقول: ياليتني قدمت لحياتي"

ونعرف أيضاً قول الله عز وجل: "ويوم يعض الظالم على يديه"

والندم وقت لا ينفع الندم، فان مثل هذه أيضاً الآثام والمعاصي غالباً ما يقع بسببها بعض ذلك الإضطراب الذي يشبه في واقعه أو في طبيعته العملية صورة الفوضى والعشوائية. وإذا عرفنا السبب - كما يقولون - بطل العجب